

سلام عمر: سلطة الحروب على العمران



من أعمال المعرض

بيروت - مازن معروف

19 أكتوبر 2014



لم تُستنفد الحرب بعد. هذا ما يقوله لنا الفنان العراقي سلام عمر في معرضه Missing، أو "في عداد المفقودين"، المختتم أمس في "غاليري أجيال". عناصر الحكاية والمواد التشكيلية ليست بغداد، أو أية مدينة عراقية أخرى، بل بيروت؛ المدينة التي اعتاد الإقامة فيها، والتي يتخّثها في أعمال سابقة منذ أكثر من عشر سنوات.

اليوم، يبدو عمر أكثر إلماماً بأصوات مقاتليها الذين باتوا "سزيين"، وبتاريخها وهيكلها الحربيين. إنه يفتش في الطبقة "الأندراغراوند" من ذاكرتها، ولا يكتفي بالوقوف عند الحدود البصرية والشكلية للحرب وتبعاتها التراجيدية. بالنسبة إليه، ثمة مفاهيم ينبغي استنطاقها، ولجِبَّ يصرُّ على حوضه.

نقرأ المدينة في أعمال عُمر كوحداث غير متجانسة، أقرب إلى شظايا، مسننة وحادة، متداخلة في طبقات، لا تتعادل في الوزن ولا الشكل ولا الطول، لا تتناغم فيما بينها إلا على مستوى مكوّنها. فحين تعمل كلها معاً، تؤلف صورة لمدينة أو جزءاً من صورة. إنها "نيغاتيف"، لا للصورة المفقودة، بل للغياب الذي ظل موجوداً، ولم يبرح مكانه منذ أيام الحرب.

"أعمال تردم الهوة بين قصص بيروت وأي مدينة أخرى تحت الحرب"

يتلاعب عمر بالسطح البصري. يؤلف نظاماً خادعاً، متصلاً فقط عند مستوى محدد، لكنه في العموم مفكك. ليس هناك ما يربط أجزاءه بعضها إلا الكينونة التي وجد على أساسها، أو بكل بساطة: الحكاية. إنه كولاج معكوس، إذا جاز القول. استحضار لصورة متكاملة من نثار. كأنما رجوع إلى الأرشيف، أو إيغال فيه، مع إيلاء الاهتمام لقدمه وكل الغبار الذي هبط فوقه. لوحاته استنباط لفصول من الذاكرة بضربات ريشة متببسة.

نحن إزاء طبقتين من الخراب. واحدة تاريخية/أرشيفية، وأخرى تشكيلية/جمالية. بالتشكيل، يستنطق سلام عمر الخراب العمراني ويضعه في سياق ناطق، رمزي، أنثروبولوجي وسياسي، بحيث لا يعود الخراب الأول وحيداً. وهو في هذا الإطار، يولي اهتماماً خاصاً بالألوان الباهتة ويقايا الأمكنة (زجاج، خشب، زينكو، إسمنت)، ليبدو كمن يغمر المشهد بالشظايا.

لن يكون في إمكاننا أن نستحوذ على الصورة في أعماله إلا إذا وقفنا في نقطة معينة أمامها. كأن الجمود/ثبات الحركة، الذي يوجي بثبات الزمن، هو الشرط الذي تستولده هذا الأعمال.



إنّ تحركنا قليلاً، تبعثر المشهد وفقدنا اتصالنا بالصورة. كما لو أننا عين القناص. هذه العلاقة بين القناص وضحاياه، والتي تتطلب تواجد الضحية في منتصف العدسة، يعيد إنتاجها فنياً كعلاقة بين المُشاهد والعمل الفني الذي لن يكون مكتملاً وواضحاً، إلا بوقوف الأول بزواية معينة قبالتته.

في أحد أعماله، ينتج الفنان ما صنعه قناص يوماً: حائطاً بسبع طبقات، وثقيبين منحرفين عن بعضهما، بحيث يتاح له ترصد ضحيتين في نفس الوقت. أما الضحية، فسيستحيل عليها رؤية قناصها العالي.

لكن، ماذا يعني أن يشتغل فنان عراقي على موضوعه الحرب بيروتياً؟ هل لأن الحرب تزيل الفوارق الاجتماعية والعمرانية بين المدن؟ أو لأن الغياب هو السمة التي تتشابه في كل الحالات؟ أم لأن الحرب تفرض واقعاً عمرانياً جديداً في كل مرة، يعيد المسلحون صوغه، بما يكزس القتل والفقد والغياب، وبالتالي "الريح"؟

مهما يكن، إنها سلطة الحروب على العمران. وهذه السلطة لا تُغَيَّب فقط أشخاصاً وتبرز آخرين، أو تؤسس فقط لأركيولوجيا جديدة، بل تزحف أيضاً إلى محترف الفنان وتفرض مفاهيماً وبحثاً وأدوات جديدة؛ ما يجعلنا نولي أهمية للهوية التجريبية للوحاته ومجسماته.

سلام عمر نحات أيضاً. له باع في تطويع المواد المختلفة في أعماله، والتلاعب بالمساحات والفضاء. وهو ما يرفع من رمزية موضوعه، ويحيله على ذاكرته الشخصية العراقية. إنه يردم الهوة الزمنية بين قصص بيروت الخاصة وأية مدينة أخرى تنوء تحت الحرب.

